

في معمل القديس يوسف

تعترف الكنيسة جموعاً بالقديس يوسف حارساً وشفيعاً لها. وقد تُحَدِّث عنه على ممَّر الأجيال بإظهار الجوانب المتنوعة لحياة أمانة مستمرة في الرسالة التي أمنه الله عليها. فلهذا السبب، ومنذ سنوات عدّة ، يحلو لي أن أبتهل إليه بهذا اللقب العاطفيّ: أباانا وسيّدنا.

عظة ألقاها القديس خوسيماريا في 19 آذار 1963 بمناسبة عيد مار يوسف البطل.

تعترف الكنيسة جموعاً بالقديس يوسف حارساً وشفيعاً لها. وقد تُحدّثَ عنه على ممرّ الأجيال بإظهار الجوانب المتنوّعة لحياة أمانة مستمرة في الرسالة التي أمنه الله عليها. فلهذا السبب، ومنذ سنوات عدّة ، يحلو لي أن أبتهل إليه بهذا اللقب العاطفيّ: أباًنا وسيّدنا.

صورة القديس يوسف في الإنجيل

إنّ القديسين متّى ولوقا يحدّثاننا عن القديس يوسف كما عن متحدر من سلالة شريفة: سلالة داود وسليمان، ملكي إسرائيل. فتفاصيل هذه القرابة، تاريخيّاً، يشوبها الغموض قليلاً. من السلالتين المنقولتين بحسب الإنجيليين، لا تبدو لنا واضحة لا السلالة التي تخصّ مريم - أمّ يسوع بالجسد -

ولا تلك التي تخصّ القديس يوسف،
الّذى كان والده، حسب الشّريعة
اليهوديّة. ولا نعلم أيضاً إذا كانت بيت
لحم هي مسقط رأس يوسف، التي
قصدها للإحصاء، أو التّاصرة، حيث
عاش وعمل.

غير أَنّا نعلم أَنّه لم يكن غنيّاً: كان
عاملًا، كما الملايين من رجال العالم
كُلّه. كان يمارس المهنة الوضيعة التي
أرادها الله لنفسه، عندما أخذ جسدنا،
واختار العيش طوال ثلاثين سنة كواحد
منّا.

إن الكتاب المقدس يخبرنا بأنّ يوسف
كان حِرْفِيًّا، وكثير من آباء الكنيسة
يضيفون بأنّه كان نجّاراً، والقديس
يوستنيانس يؤكّد، في كلامه عن حياة
يسوع العمليّة، بأنّه كان يصنع عربات
وأنياً! ربّما، معتمداً على هذه الأقوال،
يسننّج القديس إيزيدورس الإشبيليّ
(Isidore de Seville) بأنّه كان
حَدَاداً. على كلّ حال، كان صناعيّاً، يعمل

في خدمة مواطنه، وكانت حذاقته ثمرة سنين من الجهد القاسي.

تُّضح شخصيّة يوسف الإنسانيّة القويّة من خلال النصوص الإنجيلية: فهو لا يبدو إطلاقاً إنساناً ضعيفاً أو خائفاً أمام الحياة؛ إنّه بخلاف ذلك يعرف أن يواجه المشاكل، ويخرج من الأوضاع الصّعبة، ويتحمّل بمسؤوليّة ومبادرة المهام المنوطة به.

لست مع الأيقونة الكلاسيكيّة التي تمثّل القديس يوسف كعجوز، حتّى ولو شرح ذلك بالنيّة الممتازة لإبراز عذرية مريم الدّائمة. أما أنا فأتخيّله شاباً، قوياً، ربّما يكبر العذراء ببعض سنوات، لكنه في مقبل العمر وزاخر بالقوى البشرية.

شخصية رائعة

ليس من الضروري انتظار سن الشّيخوخة أو فقدان القوّة، لعيش فضيلة العفة . فالعفة تولد من الحبّ،

والقوّة وفرح الفتّوّة ليسا عائقين للحبّ
الظّاهر. كان القديس يوسف شابًا، قلباً
وقالباً، عندما اقترب بمريم، وعندما علم
بسرّ أمومتها الإلهيّة وعاش قربها،
محترماً الكمال الذي أراد الله أن يورثه
العالم، كعلامة إضافيّة، لمجيئه بين
الخلائق. فمن لا يستطيع فهم حبّ
مماثل هو جاحد لما هيّة الحبّ
ال حقيقيّ، وهو يجهل المعنى المسيحيّ
للطّهارة.

في العمل، كل يوم!

كان يوسف، كما سبق وقلنا، حرفياً من
الجليل، رجلاً كغيره من الرجال. وما
الذي يمكن أن ينتظره من الحياة قرويّ
في قرية ضائعة، كالناصرة؟ لا شيء
سوى العمل، يوماً بعد يوم، وبنفس
الجهد دائمًا؛ وفي نهاية النّهار، منزل
صغير حquier، ليجدد فيه قواه ويعاود
عمله في اليوم التالي.

لكنّ يوسف في العبرية يعني "الله يزيد". إنّ الله يزيد على حياة الذين يتّمّون إرادته المقدّسة، أبعاداً غير منتظرة: فالّهمّ، هو الّذي يعطي قيمة لكلّ شيء، البعد الإلهي. سوف يزيد ربّ، على حياة يوسف المتواضعة والمقدّسة، إذا استطعت القول، حياة العذراء مريم وحياة يسوع ربّنا. فإنّ الله لا حدود لكرمه. وباستطاعة يوسف أن يكرّر كلمات القدّيسة مريم، زوجته: "إنّ القدير صنع إليّ أموراً عظيمة، لأنّه نظر إلى صغرى".

الله يتكلّ عليه، وهو رجل عادي

إنّ يوسف كان في الحقيقة رجلاً عادياً، قد وثق الله به، لتمكّن أمور عظيمة. فعرف أن يحيا كما أمره ربّ في كلّ الأحداث التي كونت حياته، ولذلك يمتدح الكتاب المقدّس يوسف بقوله إنّه كان بازاً. وكلمة "بازاً" بالنسبة لعبريّ تعني تقىّاً، خادماً لله لا غبار عليه، أميناً للإرادة الإلهيّة؛ أمّا في الماضي، فكانت

تعني الصالح والذى يحبّ القريب.
 بكلمة، البارّ هو من يحبّ الله، ويبرهن
 هذا الحبّ بإتمام وصاياته في خدمة
 إخوته البشر.

pdf | document generated automatically
-<https://opusdei.org/ar-lb/article/fy> from
(2026/02/08) /m-ml-lqdys-ywsf